الفصـــل الأول

رؤيـــــــــة عامـــــــــة

الفصل الأول

رؤيـــــــة عامـــــة

تتبنى العديد من منظمات المجتمع المدني مفهوماً متكاملاً للتنمية، وذلك بالاهتمام بجوانب الإنسان المختلفة من تعليم وصحة، بجانب التمكين من الحقوق المدنية والسياسية. وقد تنامى الوعي بقيمة الإنسان باعتباره هدفاً ووسيلة للتنمية في السنوات الأخيرة.

يقول "نادر فرجاني"[1] بأن تاريخ الفكر التنموي هو سجل لتطوّر فهم رأس المال، وقديماً كان التركيز على رأس المال الطبيعي والمالي، لكن تسارع في العقود الأخيرة الاعتراف بأهمية العنصر البشري في منظومة التنمية، فقامت مدرسة رأس المال البشري القاضية بأن الاستثمار يقع أساساً في البشر من خلال التعليم، مولداً رأس مال جوهر للأفراد وللمجتمعات على صورة معارف وقدرات.

ولا غرابة أن تزايدت أهمية البشر في التنمية حتى استقر مفهوم التنمية الإنسانية الذي يرى في رفاه البشر غاية الوجود الإنساني، ويرتب أهمية كبرى لتطوير القدرات الإنسانية وللجانب المؤسسي والتنظيم الاجتماعي من خلال مفهوم التمكين خاصة للفئات الفقيرة وغير القادرة وذلك بإكسابهم المهارات والقدرات وإشراكهم مع مؤسسات التنظيم الاجتماعي مشاركة كاملة في القرارات والعمليات التي تشكل حياتهم، وأصبح الفارق بين التقدم والتخلف في العالم المعاصر حول العطاء البشري المتوقف على كمّ ونوعية رأس المال البشري. وتعد التربية من أهم محددات العطاء البشري المؤدية لإطراد التقدم.

وتدل الخبرة التاريخية أن ما من مجتمع تمكّن من تجاوز طور التخلف إلا باستثمار كثيف للتربية عامة والتعليم خاصة، لذلك لا توجد مغالاة عند القول أنه في منظور التنمية ودفع التقدم ليس هناك غاية تعادل تطوير منظومة التربية والتعليم. بيد أنه يتعين مراعاة

---

[1] مفكر اجتماعي، وأستاذ بجامعة القاهرة، رئيس فريق تحرير تقرير التنمية العربي الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ورئيس مركز المشكاة للبحث والتدريب بالقاهرة.

أن تلك المنظومة ليست إلا انعكاساً لمجمل النظام الاجتماعي الاقتصادي، وعليه فإن تغييراً عميقاً في أداء وناتج هذه المنظومة غير ممكن إلا في إطار تغيير اجتماعي اقتصادي واسع المدى. وغالباً ما يثار هنا تساؤل: هل يمكن أن يقود التعليم مسيرة التقدم؟ وهل في وسع التربية أن تفعل مالا يفعله سواها فتغير المجتمع الذي ولدها وتؤثر تأثيراً مباشراً في العوامل الأخرى التي تصنع المجتمع. يقول نادر فرجاني: الإجابة لدينا هي بالإيجاب، فالتربية يمكن أن تكون قاطرة التقدم، وهي كذلك بالفعل في المجتمعات المتقدمة (فرج، ٢٠٠٨).

١. الأمي والأمية والقراءة

يُرَدّ الأمي بصفته الإنسان الذي يجهل القراءة والكتابة، إلى الأم أو الحالة البدائية، إذ تُنسب الأمية إلى الأم، لأن الكتابة تكتسب مع الأيام، والأمي يبقى على ما ولدته أمه من الجهل بالقراءة والكتابة. وكما في كلام العرب قديماً، حيث كانت كلمة أمي تُطلق على من لا كتاب له من مشركي العرب، أو كما تُطلق كلمة الجهل على الأمية. ويسمى الأمي جاهلاً، وهي تسمية صحيحة رغم ما توحي به من معاني الاحتقار في فهم البعض، إذ هي تصف حالة الأمي الذي يجهل قواعد القراءة والكتابة، على الرغم أن مفهوم كهذا لم يعد يناقش كثيراً.

والأمي في اللغة: العَيِّ الجِلف الجافي القليل الكلام، وقيل له: أمي، لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة الكلام وعجمة اللسان، وهو المنسوب إلى ما جبلته عليه أمه، أي لا يكتب، لأن الكتابة مكتسبة. والأمية في المفهوم الشائع هي الأمية الأبجدية، وهي في اللغة العربية: الجهل بالقراءة والكتابة. وقيل للعرب الأميّون، لأن الكتابة كانت فيهم نادرة أو عديمة. وقيل للرسول ﷺ الأمي، لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، وبعثه الله رسولاً وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وكانت هذه إحدى آياته المعجزة، لأنه تلا عليهم كتاب الله منظوماً تارة بعد أخرى بالنَظْم الذي أُنزل عليه فلم يغيّره ولم يبدّل ألفاظه وهو أمي.

وقيل أيضاً أن ما تمدّنا المعاجم العربية، بما تعتبره المعنى الأولي الأصل للفظ "أميّ"، على أنه: "الأميّ، الذي على خِلقة الأُمةِ، لم يتعلَّم الكتاب فهو على جِبِلَّة أمه"، كما ورد في

معجم "لسان العرب"، تعريف لا أصل له في العربية، وما نسبته إلى الأم إلا اجتهاد من علماء اللغة في إيجاد أصل لهذه الكلمة في لغة العرب. وهذا الاجتهاد فيه تكلّف واضح: فلماذا ننسب الجاهل بالقراءة والكتابة إلى "أمه"، وحده دون الذي يقرأ ويكتب! ولماذا نربط الأم، دون الأب، بعجمة اللسان والعي والجفاء؟ ثم هل تليق هذه الصفات بمقام النبي محمد ﷺ ومقام أمّه، خصوصاً وقد اختاره الله واصطفاه!

وقد أدى التطور في مجال العلم والمعرفة إلى ظهور مفاهيم جديدة تتجاوز المصطلح التقليدي للأمية إلى تعريف الأمي في بعض البلدان "بأنه ذلك الشخص الذي لا يجيد التعامل مع الحاسوب مثلاً". وهناك ما يسمى بالأمية الثقافية، بل يطلق بعضهم عبارة "أمية المتعلمين" وهي حالة أولئك الحاصلين على شهادات تعليم عام، وربما تعليم جامعي ولكنهم مع ذلك لا يجيدون قواعد القراءة والكتابة الصحيحتين، كما ينبغي لأشخاص تجاوزوا هذه المرحلة. وهناك ما يسمى "الأمية التقنيّة" ويقصد بها غياب المعارف والمهارات الأساسية للتعامل مع الآلات والأجهزة والمخترعات الحديثة وفي مقدمتها الحاسوب.

وفي أروقة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "أليكسو" ALECSO التابعة للجامعة العربية ومؤتمراتها وأدبياتها يتم تسليط الأضواء على أنواع الأمية المنتشرة في الأقطار العربية والتي حُدّدت بالأمية الأبجدية وتعني عجز الإنسان في سن المدرسة وما فوق عن القراءة والكتابة وإجراء العمليات الحسابية البسيطة؛ الأمية الوظيفية: التي تنتهي إذا عرف المرء كيف يكون شخصاً منتجاً في مجتمعه؛ الأمية الحضارية: وهي عدم وعي الإنسان بأنه يمثل أحد عجلات التنمية؛ الأمية الحاسوبية: وهي أحد أمراض العصر، وهي ضريبة العولمة التي فرضت وتفاقمت في البلدان النامية وبين أبنائها المهمّشين والفقراء الكثُر وتعني عجز الإنسان عن استخدام واستثمار الحاسوب في الحياة اليومية والمجالات المتنوعة؛ الأمية السياسية باعتبارها أمية متفشية في الأوساط السياسية أكثر مما هي بين الأوساط المتابعة للسياسة، وما أزمات البشرية وتطويقاتها الحياتية والمصيرية اليوم إلا أحد نتائج الأمية المنتهجة في عالم السياسة الرهيب (حجازي، ٢٠٠٧).

والقراءة هي عملية استرجاع منطوق لمعلومات مخزّنة، سواء كانت تلك المعلومات على شكل حروف أو رموز أو حتى صور، وذلك عن طريق النظر أو اللمس كما في لغة برَيل للمكفوفين. وهناك أشكال من القراءة لا تكون للغة، وذلك كقراءة النوتة الموسيقية أو

الصور التوضيحة. وفي مصطلحات علم الحاسوب، فإن القراءة هي استرجاع معلومات من أماكن تخزينها على الحاسوب كالأقراص الصلبة والمرنة وغيرها. ولكن القراءة ليست مسألة بسيطة، ولكنها تستخدم الفهم، ولعدة سنوات لم يستطع المعلمون الفصل بين تكويد الكلمة والفهم (داس، ٢٠٠١؛ وينريد، ٢٠١١).

إن تعريف معرفة القراءة والكتابة والحساب وفقاً لما حددته اليونسكو، أنها "القدرة على التحديد والفهم والتفسير والخلق والاتصال والحساب باستخدام المواد المكتوبة والمطبوعة المرتبطة بسياقات مختلفة. وتتضمن معرفة القراءة والكتابة استمرارية التعلم في تمكين الأفراد من تحقيق أهدافهم وتطوير معرفتهم وإمكاناتهم، والمشاركة في الجماعة والمجتمع الأوسع (UNESCO, 2004).

تبقى القراءة هي لبُ محو الأمية أو الجانب الأساسي منه. تُعَرِّف مُنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية محو أمية القراءة بأنه "فهم واستخدام النصوص المكتوبة والتفكير فيها، من أجل تحقيق كل شخص لأهدافه وتنمية معرفته وقدراته وللمشاركة في المجتمع".

٢. محو الأمية وتعليم الكبار

لقد تطور مفهوم محو الأمية، ومر بالمراحل التالية:

١. **مرحلة محو الأمية الهجائية:** وتعني عدم معرفة القراءة والكتابة والإلمام بمبادئ الحساب الأساسية. ويعرّف الإنسان الأمي بأنه كل فرد بلغ الثانية عشرة من عمره ولا يلم إلماماً كاملاً بمبادئ القراءة والكتابة والحساب بلغة ما ولم يكن منتسباً إلى مدرسة آو مؤسسة تربوية وتعليمية، ومنذ بدأ الاهتمام بالقضاء على الأمية، ارتبط ذلك بالمفهوم الأبجدي لمحو الأمية، وذلك بتعليم الأميين القراءة والكتابة ومبادئ الحساب.

٢. **مفهوم محو الأمية الوظيفي:** ويختلف عن المفهوم التقليدي لمحو الأمية في ارتباطه أساساً بميادين الإنتاج والعمل، وقد واجه نقداً لاذعاً لتركيزه على المتطلبات الاقتصادية بصفة عامة والإنتاجية بصفة خاصة.

٣. **مفهوم محو الأمية الحضاري:** ويعني عدم مقدرة الاشخاص المتعلمين على مواكبة معطيات العصر العلمية والتكنولوجية والفكرية والثقافية والفلسفية والأيديولوجية والتفاعل معها بعقلية دينامية قادرة على فهم المتغيرات الجديدة وتوظيفها بشكل إبداعي فعال يحقق الانسجام والتلاؤم مابين ذواتهم والعصر الذي ينتسبون إليه، مؤمنين في ذات الوقت بمجموعة من العادات والتقاليد والمعتقدات الفكرية والممارسات السلوكية والمبادئ والمثل الجامدة التي تتعارض وطبيعة الحياة المتجددة على الدوام (وينريد، ٢٠١١) (أعلى شكل ١).

وقد ركّزت الاستراتيجية العربية لمحو الأمية وتعليم الكبار التي أقرّتها الدول العربية في مؤتمر الإسكندرية الثالث الذي عقد ببغداد ١٦ ديسمبر ١٩٧٦، على نوعين من الأمية هما: الأمية الوظيفية والأمية الاجتماعية، وتم ربط محو الأمية بتعليم الكبار، باعتبار محو الأمية خطوة أساسية أولى لعملية تعليم الكبار في التعليم غير النظامي، فبدون محو الأمية لن يستطيع الأفراد الأميون أن يصبحوا عناصر نشطة وحيوية في مجتمعهم، ولن يساعدوا على جعله في وضع أفضل.

وتتلخص مراحل التعليم غير النظامي في مجال محو الأمية وتعليم الكبار في عمليتين هما: التربية الأساسية أو التعليم الأساسي أو الأولي للكبار، وهو الحد الأدنى من التعليم الذي ينبغي أن يحصل عليه الفرد، كالقراءة والكتابة والحساب، والمهارات الاجتماعية الحياتية، وفهم حياة المجتمع المحلي، وهو أمر ضروري لتحقيق المشاركة المسئولة في المجتمع. والمرحلة الثانية هي التعليم في مرحلة المتابعة، وتلي المرحلة التي تم فيها الحصول على الحد الأدنى الأولي من مهارات القراءة والكتابة والحساب. وينبغي أن يكون الدارس في نهاية هذا المرحلة قد وصل إلى مستوى من القدرة على المضي قُدماً، والقيام بدور فاعل في عملية التنمية المتواصلة والسيطرة على بيئته عن طريق تعلم أسلوب اتخاذ القرار (حجازي، ٢٠٠٧).

٣. أسباب الأمية

ترجع الأمية إلى أسباب ثلاثة رئيسية تتمثل في أسباب تاريخية وأسباب تعليمية وأخرى سياسية، يمكن توضيحها فيما يلي:

٣. ١. أسباب تاريخية

وترجع إلى ما شاع في فترة الاحتلال الأجنبي لمصر عن قَصْر الفرص التعليمية على شريحة ضيقة من المواطنين وحرمان الجماهير العريضة من فرصة التعليم.

٣. ٢. أسباب تعليمية

وترجع إلى عديد من العومل أهمها:

١. عدم قدرة النظام التعليمي على استيعاب جميع من هم في سن الإلزام.
٢. ارتفاع معدلات الفاقد التعليمي وضعف الكفاءة الداخلية لنظام التعليم نتيجة ظاهرتي الرسوب والتسرّب.
٣. عدم تكافؤ توزيع الخدمات التعليمية بين الريف والحضر.
٤. ضعف ملائمة الكتب والمواد التعليمية .
٥. ضعف إعداد وتدريب المعلمين.

٣. ٣. أسباب سياسية

وتتمثل في نقطتين رئيسيتين:

١. تواضع الجهود المبذولة تجاه المشكلة في الماضي بسبب سوء التخطيط وضعف التمويل وقلة المشاركة الشعبية والرسمية.
٢. تقصير الدولة في تنفيذ قانون الإلزام.

٤. النتائج المترتبة على مشكلة الأمية

يترتب على مشكلة الأمية عديد من التداعيات أهمها:

١. الأمية عائق كبير في طريق تحقيق التنمية وإحداث التماسك الاجتماعي بين الأفراد.
٢. الأمية لا تقبل التطور ولا تسمح بمشاركة المرأة في خدمة المجتمع بعكس محو الأمية.
٣. الأمي أسهل في الوقوع فريسة لأية دعاية مغرضة أو إشاعة كاذبة، أما المتعلم فهو أقدر على التمييز بين الصحيح والمغلوط.

٤. المتعلم أكثر استفادة من الخدمات الصحية والثقافية والاجتماعية.
٥. تعد الأمية إحدى أسباب تأخر ترتيب مصر في تقرير التنمية البشرية في السنوات الماضية (سالم، ٢٠١٤).

٥. ثقافة محو الأمية

تعتبر ثقافة محو الأمية بيئة تدعم محو الأمية ويمكن ممارستها فيها، حيث يتم التشجيع على القراءة والكتابة من خلال التدريب على المهارات اللازمة للقراءة والكتابة واستخدام المعلومات في الحياة اليومية، ودعم مهارات الإلمام بالقراءة والكتابة والتحفيز عليها، والتي تم تعلمها ليس فقط من خلال المناهج الرسمية بل أيضاً في العمل ونطاق الأسر وفي المؤسسات وفي الشارع وفي المجتمع، والقيمة الإيجابية والترويج للمؤسسات والأنشطة، والاستثمار في وضع السياسات، والتدريب وعمل مواد ملائمة تراعي الأمور الثقافية واللغوية لمُختلف أعضاء المجتمع، وما إلى ذلك.

هذا وقد تم تحديد العوامل الثمانية التالية لتنمية ثقافة محو الأمية والترويج لها:

١. إتاحة المواد اللازمة.
٢. أهمية أن يمتلك الناس كتبهم.
٣. وجود مُختلف الوكالات التي توفر الكتب، إذا ما صَعُب على الناس الوصول إليها.
٤. وجود سياسة قومية للقراءة.
٥. حشد الدعم لمحو أمية الأطفال والكبار.
٦. وجود نماذج تدريبية أو مواد تعليمية لمحو الأمية والقراءة.
٧. التعاون بين الوكالات والبرامج.
٨. ترويج الحكومة لثقافة محو الأمية.

ويمكن النظر للمكتبات بكونها لاعباً أساسيّاً، لما لها من دور رئيسي في مُعظم- إن لم يكن كل- عوامل محو الأمية، من إتاحة المواد والتدريب اللازمين للترويج والتعاون. ويمكن في سياق محو الأمية وثقافتها، والترويج لمحو الأمية والقراءة على وجه الخصوص، استخدام التسويق لمواد القراءة وتجربة القراءة من أجل إقناع الناس بالقراءة واستخدام هذه المواد. ويُركز مُصطلح "تنمية القارىء أكثر" على الفرد بزيادة ثقته

واستمتاعه بالقراءة ولتوسعة خيارات القراءة، ولإتاحة فرص تبادل تجارب القراءة، ودعم القراءة كونها نشاطاً خلاقاً (ليزلي فارمر وإيفانكا ستريسيفيك، ٢٠١١).

٦. عقد الأمم المتحدة لمحو الأمية

إيماناً بأهمية محو الأمية، لاكتساب كل طفل وشاب وراشد مهارات الحياة الضرورية، أعلنت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" UNESCO الفترة من عام ألفين وثلاثة حتى عام ألفين واثني عشر، عقد الأمم المتحدة لمحو الأمية، حيث تُقر حاجة كل فرد إلى تنمية قدراته للحصول على المعلومات وتقييمها واستخدامها بطرق مختلفة. وتشجع هذه الحملة الهيئات على عمل أنشطة تُعزز محو الأمية والتعليم مدى الحياة، خاصة للشعوب الأقل حصولاً على التعليم النظامي.

٧. تقارير التنمية البشرية للأمم المتحدة

دأب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي منذ مطلع التسعينيات على إصدار تقرير سنوي حول التنمية البشرية في العالم، وهو تقرير كان له الفضل في إعادة التأكيد على مقولة أن البشر هم صانعو التنمية ويجب أن يكون هدفها النهائي الاستفادة من نتائج طغيان التركيز على النمو الاقتصادي على مدى العقود السابقة لذلك العقد، والذي حال دون توزيع ثمار النمو توزيعاً عادلاً على مختلف الفئات الاجتماعية.

وعلى الرغم من الملاحظات الكثيرة حول تقرير التنمية البشرية وآلية تعاطيه للقضايا الأساسية في العالم، من حيث آلية اشتغاله الأفقية المتنقلة من مستوى إلى آخر "اقتصادي- اجتماعي- ثقافي"، واعتماده النموذج الرديء "البلدان النامية" والنموذج المتقدم "البلدان المتطورة"، إلا أنه يشكل خطوة رائعة في مسيرة البشرية، ولو على مستوى التأصيل النظري للمفهوم ووضع مؤشرات كميّة تقيس حالة تقدم مجتمع من المجتمعات على حساب آخر (حجازي، ٢٠٠٧).

٨. محو الأمية و"السلام"

سلَّم المؤتمر العام لليونسكو في قراره الصادر عن الدورة الرابعة عشرة بالحاجة إلى جهد دولي متضافر ونشط لتشجيع محو الأمية عالمياً، وأعلن يوم ٨ سبتمبر اليوم العالمي لمحو الأمية (أسفل شكل ١). ويعتبر محو الأمية سبباً للاحتفال حيث حققت الإنسانية نجاحاً متميزاً في هذا المجال وحيث يوجد حالياً زهاء أربعة مليارات متقف في العالم. بيد أن محو الأمية للجميع- أطفال وشباب ومراهقون- لم يتحقق حتى الآن ولا يزال هدفاً مأمولاً. ويعود السبب في ذلك إلى عدة عوامل مجتمعة منها: الأهداف الطموحة والجهود المتوازية غير الكافية والتقدير غير الصحيح لحجم وعظمة هذه المهمة. وقد أثبتت التجارب خلال العقود الماضية أنه من الصعب تحقيق هدف محو الأمية على المستوى العالمي، وأن ذلك يستوجب ليس فقط تكثيف الجهود بل أيضاً تجديد في الإرادة السياسية والعمل بشكل مختلف عن السابق وعلى جميع المستويات المحلية والوطنية والدولية.

وأعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها A/RES/56/116 فترة العشر سنوات التي تبدأ في أول يناير ٢٠٠٣ عقد الأمم المتحدة لمحو الأمية، كما رحّبت بخطة العمل الدولية المتعلقة بعقد الأمم المتحدة لمحو الأمية، وقررت أن تقوم منظمة اليونسكو بدور تنسيقي في الحث والتحفيز على الأنشطة المضطلع بها على الصعيد الدولي في إطار العقد. وقد ركز اليوم العالمي لمحو الأمية لعام ٢٠١١، الذي اُحتفل به في ٨ سبتمبر في أنحاء العالم كافة، على العلاقة بين محو الأمية والسلام (وينريد، ٢٠١١).